

الكتابة الفلسفية: السؤال والمستقبل

Philosophical Writing

The Question and the Future

ط: بداني حسنية	Doc: Beddani Hasnia	مختبر الفلسفة وتاريخها. كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة وهران2.	فلسفة
beddanihasnia@yahoo.com		مختبر الأبعاد القيمية للتحويلات. كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة وهران2.	فلسفة
إشراف: أد. بوعرفة عبد القادر	Pr: Bouarfa Abdelkader		
Bouarfah9@gmail.com			
DOI : 10.46315/1714-009-003-017			

تاريخ الإرسال: 2020/02/26 تاريخ القبول: 2020/05/05 تاريخ النشر: 2020/06/16

ملخص بالعربية:

إن التطور الحاصل في الفكر الأوروبي عبر تاريخه الحديث والمعاصر يضع الدارس أمام مفارقة تاريخية؛ تُبين أزمة الفكر العربي المعاصر، ففي الوقت الذي بنى فيه الغرب فلسفة قائمة بنفسها، وأسس المذاهب والمناهج والأنساق، نلاحظ بأن الفلسفة في العالم العربي لازلت رهينة الإرهاصات والمبادرة الفردية. إن الاشتغال بالفلسفة ضرورة قصوى في حياتنا لإثبات وجودنا ضمن هذا العالم، وكذلك لإقامة الحكم السياسي الراشد، وترشيد الإدارة والمؤسسات، ولتطوير الاقتصاد والبنى الاجتماعية... ولكي نحقق ذلك يجب أن نؤسس لكتابة فلسفية ذات بعد جماعي ومؤسسي، وأن نتجاوز الفردانية، ونؤسس للعمل ضمن خلايا تجعل من الغد هدفا لها، ومن الكتابة الفلسفية طريقة لنشر الوعي والتغيير.

الكلمات المفتاحية: الكتابة؛ الفلسفية؛ الوعي؛ الجزائر؛ الغد.

Abstract (English):

The development of European thought through his modern and contemporary history puts the researcher in front of an anachronism. It illustrates the crisis of contemporary Arab thought. While the West has built his philosophy, and founded the doctrines, methods and systems, we see the philosophy in the Arab world is still hostage to Individual initiatives and attempts.

Engaging in philosophy is an absolute necessity in our lives to prove our presence in the world, as well as to establish good political governance, rationalize management and institutions, and to develop the economy and social structures ... To achieve this hop, we must establish to the philosophical writing with a collective and institutional dimension, go beyond individual work., and establish work within Cells make the tomorrow their target, and make the philosophical writing the way to spread awareness and the great change.

Keywords: writing; philosophical; consciousness; Algeria; the tomorrow.

١- مقدمة

نعتقد أن الفلسفة كخطاب لا يمكن تصورها خارج الكتابة كتعبير عن وهج الأسئلة المترادفة على بؤر العقل، فالكتابة منذ القدم وُصفت بالقيّد الذي يُثبّت الأفكار في صور مادية مكونة من أحرف وإشارات، وإن كانت تلك الأحرف تكتسي رمزية خاصة، وتُعبّر عن معاني مجردة أكثر من صور حسية.

إن الفلسفة حين يغلب عليها الطابع الشفهي ويكون الاستماع هو الطريقة الوحيدة للتأمل والقراءة، لا تصمد طويلاً أمام الزمن الذي يُراهن على المكتوب أكثر من المسموع، فمحاورات أفلاطون لو لم تُكتب من قبل تلامذته وتُعيد في متون ما كنا اليوم لننتعرف على أفلاطون وأفكاره. وهو الأمر الذي تفتن إليه أرسطو، فغيّر المحادثة الفلسفية بالكتابة، وذلك التحول في الفكر اللاتيني له إيجابيات لا تُحصى في حفظ التراث اليوناني القديم ونقله بعد ذلك إلى جل لغات العالم. (بوعرفة، ع، 2016، 20).

إن الإبداع الفكري لا يُعبّر عن الفكرة المطلقة أو العامة بل في كثير من الأحيان يُعبّر عن اختزالات داخلية لكثير من الصور المكونة للمشهد المُدرَك؛ والمراد التعبير عنه وفق تقنية الكتابة أو ما يُسمى لعبة الحروف، ويصير التعبير الإبداعي بذلك نوعاً من الاصطفاء المبني على الاختزال والاستبدال في الوقت نفسه.

قد يُفهم هذا الفعل على أنه محاولة وضع حد قابل للمقارنة بكفاية ضمن أطر نفسية وأخرى نسقية، وهو ما نلتمسه من رؤى بول ريكور (1913-2005)، حيث يميل إلى القول بأن الاستعادة التأويلية للمعنى محتملة ومستحبة ضمن تطابق حدسي لوعيين إثنين يكون التحليل البنيوي غير شرعي وغير ملائم للإبداع الفكري.

كان التفكير الفلسفي منذ القدم مجالاً واسعاً، تبرز الفلسفة في سياقاته المختلفة، من حيث فعل الكتابة بالخصوص، ويتبلور عبر نصوص وخطابات وأطروحات ومفاهيم وآراء وأفكار مختلفة وأذواق متباينة، ويتجلى ذلك كله باتباع أساليب عديدة وأشكال تعبيرية متعددة، من أكثرها بساطة وانفتاحاً إلى أكثرها انغلاقاً ونسقية.

ثبات النصّ الفلسفي لا يكون إلا بفعل الكتابة أو التدوين المعاصر (تثبيت الصوت)، ومن خلال فعل التدوين يصبح للفلسفة معنى ووجودا مستقلا عن كتبه أصلا، لأن الكتابة ليست اختزالا لمنابع الأفكار فقط بل في كثير من الأحيان تضيف عليها من صور المتخيلة ما يعطيها جمالا ووجودا مغايرا لما هو موجود.

نجد في سياق الحديث عن الكتابة الفلسفية عبر تاريخ علاقة بين الكتابة وأشياء أخرى تنبلج في لحظات نادرة، فرولان بارت يعتبر الكتابة ما هي إلا لحظة اختبارية في تاريخنا: «فإنّ الكتابة ليست، إذن سوى لحظة ولكن هذه اللحظة هي من بين اللحظات الأكثر جلاء في تاريخ، مادام أنّ التاريخ هو دائما وقبل كل شيء اختيار وكذا حدود هذا الاختيار.» (الزاوي، ح، 2002، 160)، وبما أن الكتابة تظل ذات قدرة على صياغة العصر الراهن للكائن العقل وما ينتظره في مستقبله، لأن الكتابة تشغل حيزاً عاماً يكون غير محدد، عندها نضحي فيه بالسلطة التي يلتقي فيها تناثر (Dissémination) النص وأهوائه. وهذا يقودنا إلى القول بأن الكتابة كائن غريب ووسيط عجيب، يقتحم ذواتنا في لحظات متفاوتة الخصوصية: «إن الكتابة تقحم غريباً بغير دعوة، كما أن الكتابة وسيط بلا شخصية، مجرد خادع يسقط فيها بين "القصد" و"المعنى" وبين كل من السياق والفهم أيضاً (كريستوفر، ن، 1989، 76) وعليه تمثل الكتابة تهديداً لرؤية التقليدية التي لها علاقة بربط الحقيقة بالحضور الشخصي من جهة وباللغة الطبيعية من جهة الأخرى، هذه الأخيرة التي يمكن أن تعبر عن هذه الحقيقة من وجهة مغايرة تماما للنمط الأول والسائد.

يتبين لنا بأن الكتابة الفلسفية تستمد قوتها مشروعيتها بعيداً كل بعد عن ذلك التعارض التقليدي، حيث حاول جاك دريدا (1931-2004) أن يتعامل مع الكتابة من كونها تمثل "الأصل والبدائية" لكل الأنشطة الثقافية، ويبدو لأول وهلة محاولة دريدا من أجل التنظير لعملية الكتابة في علاقتها بالكلام واللغة والأثر تعد مهمة جدا، لأنها جاءت لتعيد مكانة للكتابة التي تمت معاملتها من طرف الذين حطوا من قيمتها والاستخفاف بها، حتى من طرف اللسانيات المعاصرة، ولكن هذا الجهد الذي قام به دريدا لا يساعدنا على بلورة الإبداع، وإعطاء رؤية واضحة المعالم حول آليات وشروط

صياغة الخطاب الفلسفي، الذي حاول دريدا أن يُبينه من خلال جدلية الكينونة والحضور: « نظام اللغة الذي يرتبط بالكتابة الأبجدية الصوتية هو ذلك النظام الذي يتحقق فيه ميتافيزيقا التّمرّكز المنطقي التي تحدد معنى الكينونة على أنه الحضور. » (كريستوفر، ن، 1989، 77)

سنستكشف من خلال نقد اللغة بأن "قمع الكتابة" يظهر في منهجه الذي وضعه مؤسس اللسانيات دوسوسير De Saussure (1857-1913)، والذي يتجلى في إنكاره دراسة أي نوع من أنواع التدوين اللغوي.

ما يُتيح القول بأن دريدا يثبت أن تلك المعطيات والفروض برغم تماسكها والدعم المتبادل بين بعضها البعض، تظل مكشوفة ومعرضة للفوضى والتمزق بمجرد استبدالنا كلمة الكتابة بكلمة الكلام، هذا في إطار نظام المفاهيم التي يحكمها هذا النّسق. نلاحظ من خلال ما سبق بأن دريدا يقوم بقراءة الفلسفة وتاريخها قراءة مغايرة باستعماله "المنهج التفكيكي" الذي يسعى من خلاله وضع بناءً جديداً ومخالفاً للبناء الذي دأب الفكر الغربي عليه.

إن الاختلاف بالمعنى الدريدي يسمح تجاوز صيغة التعدد: «الاختلاف الدريدي له علاقة مباشرة، بالكتابة حيث أن الوظيفة المهمة للاختلاف هي ما يصطلح عليها دريدا ب: الكتابة البدائية.» (الزاوي، ح، 2002، 161) ونضيف إلى ذلك القول بأن جدلية الدال والمدلول لا تتضح إلا بعد فعل الكتابة أصلاً: «إن برّانية الدال هي برّانية الكتابة بعامة، وسنحاول... أن نكشف عن أنه ليست ثمة من "علامة" لغوية قبل الكتابة.» (دريدا، ج، 1988، 144) يتضح لنا أنه من غير هذه البرّانية فكرة "العلامة" تتداعي نفسها بالذات.

ويمكن القول إن حتى تلك الكتابة البدائية «لا يمكن تعريفها تعريفا موضوعياً، لأنها غير قابلة للاستقراء والوصف، لكنها حسب (دريدا) كل شيء» (شوقي، م. ز، 2011، 86)، إنها الطريقة التي لا تترك لذاتها أن تثير لنا غير شكل الحضور، كما أن الكتابة ليست شيئاً ناقصاً يلحق بشيء آخر أكثر اكتمالاً منه. كما هو الحال عند (دو

سوسير) الذي لا يركز على "الكلام"، بل نجده يركز على "اللغة"، ما يهم هنا هو البني والقواعد التحتية (السيمائية السوسورية التقليدية).

وكان اهتمامه بخاصية الإشارات اللسانية (كالكلمات)، والإشارة تتكون من (دال ومدلول)؛ وعليه قد يمثل لنا الشراح المعاصرون بوصف الدال بأنه الشكل الذي تتخذه الإشارة والمدلول بأنه الأفهوم الذي تعود إليه، حينها يميز السوسوريين الدال والمدلول كالآتي: «ليست الإشارة اللسانية صلة بين شيء واسم، لكن بين أفهوم [مدلول] وطراز صوتي [دال] وليس النموذج الصوتي صوتاً، لأن الصوت محسوس؛ الطراز الصوتي هو الانطباع النفسي الذي يولده الصوت عند المستمع، كما يصله كمعطى عبر أحاسيسه» (تشارلز، د، 2008، 46)، نستنتج أن الكتابة تمثل منظومة إشارات وليست متحرر أي عدم استقلاليتها مع العلم شبيهة بالمنطوق.

وفي منظومة الكتابة، في نهاية المطاف ندرك بأن مدلول الكلمة المكتوبة ليس الأفهوم، بل الصوت، الذي ترتبط الكتابة عنده بالمنطوق مثل ارتباط الدال بالمدلول. بينما في نظر دريدا الكتابة "إشارة الإشارة". يعتبر دوسوسير الكلام هو الأهم، أما عن "الإشارات" المستعملة في الكتابة اعتباطية، نلاحظ أنه حرص بقوة على ألا يقع في ربط مبدأ الاعتباطية بالعلاقة الموجود بين "اللغة والعالم الخارجي"، يكون هذا ربطاً مباشراً. سيكون من باب التبسيط أن: "الكتابة قبل الحرف". (دريدا، ج، 2008، 63) حيث تبين أن دريدا: "يقصد هنا الكتابة قبل الزمن ظهور الكتابة بالمعنى الشائع، أو وجود كتابة قبل ظهور الحرف" (دريدا، ج، 2008، 63). بلا شك فإن مشكلة اللغة ليست مجرد معضلة بين معضلات أخرى، حيث تحتل الأفق العالمي، كما تعمل الأبحاث على اختلافها، كذلك تشيع في مختلف الأنواع الخطابيات بالطبع من حيث "القصد والمنهج والإيديولوجيا" وغيرها.

تمثل هذه الأزمة عرض من الأعراض، فهي تعلم بإشارة مثل هذا يحث غصبا عنها إلى أنه لابد تحدد فترة تاريخية يشهد لها الزمن. وعليه، كان مفهوم الكتابة: «يشعر أن في تجاوز حدود اللغة، وذلك عبر توقف هذا المفهوم عن الإشارة إلى شكل خاص لغة مشتق منها ومساعد لها» (دريدا، ج، 2008، 66)، وهذا يؤكد بأن الكتابة في

محتواها تحتوي اللغة، لا لكون" كلمة كتابة" توقفت عن الإشارة إلى" الدال على الدال"، ولكن هذان الآخران تحت أضواء جديدة، ولم يعد عاجزاً على تعريف "الازدواج العرضي"، بل على العكس يصفان بحركة اللغة في جذرها أصلي؛ إذن يقوم المدلول بوظيفة الدال.

في الحقيقة إن إثبات «أنّ الدالة المنطقية هي عبارة» وأن لا حقيقة نظرية إلا ما كان في منطق» (دريدا، ج، 2005، 56). تتبين لنا صحة النظرية فيما يصدر من نطق (أي ما يوجد في المنطق)؛ وإثبات ما نراه مشوشاً ومتواتراً كثيراً منذ "البحوث المنطقية" و"العبارة" هي دليل وإمكان للحقيقة. كل ذلك يتيح للفيلسوف هوسرل E. Husserl (1859-1938) أن يبرز وهو يعكس معنى الطريق التقليدي ولا يولي أي اهتمام لعمل الدلالة سوى فقط ما هو مقوم لحركة الحقيقة ومفهومها، ويدل على عدم وجود حقيقة له في ذاته.

هنا يمكن أن نتساءل عن العلاقات الموجودة بين اللغة والوجود أو حقيقة هذا الانتماء؟

وبناءً على ذلك، إن الثورة نجدها أقرب إلى الثورة الكلامية بدليل دعوة جاءت إلى تغيير الواقع. بشكل أوضح الثورية الخطابية التي جاءت بألوان جديدة من الخطاب المؤثر، هذه الثورية الخطابية التفكيكية ليست أقوى من ثورية الخطاب النيتشوي أو الماركسي. يقرب الكردي هذا المعنى في قوله: «ومن ثم كان على فعل التفكيك بواسطة إجراءات الكتابة لما تتسم به من عتمة أو كثافة تكاد تكون ملازمة لماهيتها التعبيرية بث البلبلة والفوضى في قلب الخطاب... أو سابق التنظيم.» (الكردي، م.ع، 1995، 228)، وعلى الرغم من ذلك يقع أيضاً على عاتق عملية التفكيك إحداث فرجة في نسيج النص، بحيث تزدوج عملية القراءة وتسمح هذه الأخيرة المزدوجة ومع كشف الجذور التي يسميها دريدا "المركزية الصوتية والتصورية". والتي تشكل العامل الميتافيزيقي أو ما يسمى بالإيديولوجية الكامنة.

وبناءً على ذلك يحاول دريدا بث الخلخلة في قلب الخطاب الفلسفي الغربي التقليدي، والنتيجة المتوصل إليها تمس قواعده الأساسية وآلياته المحورية التي يقوم

علمها الخطاب الفلسفي. لا شك أنه يربط بين المركزية الصوتية ومركزية اللوغوس في الفكر الغربي. خير دليل على ذلك الخطاب الفلسفي لم ينشأ ولم يتبلور عند اليونانيين القدماء إلا بقيام اللغة الصوتية التي تعتمد على النظام الأبجدي في الكتابة. إن الكتابة من منظور تاريخي تدل على مراحل تطور الفكر الإنساني منذ أقدم العصور، من ثم كانت الكتابة هي المورث الحضاري. المهم أن العجيب في ذلك أن أفلاطون هو الذي «يحلل الاختلاف بين الصوت الحي أو حديث الروح وبين نقوش الكتابة الثابتة المتجمدة، التي يصفها بأنها ضرب من النسيج أو النسيج أو المحاكاة الزائفة». (عطية، ع، 2010، 317) الواضح هنا أن الكتابة تعود إلى نسيان الحقيقة الحية، والتعلق بالحروف والنقوش.

وليس من شك في أن موقف دريدا من أفلاطون يقوم على التباس والمراوغة، على نقيض ذلك، إنه يستغل صورة الجذر اللغوي الذي يرد لفظه إلى "معنى" أو "النسيج" ليحاول فك نص "فيدروس" بوجه خاص، وعليه يقودنا دريدا إلى اتخاذ مفهوم العقار (أو الصيدلة) نموذجاً للكتابة، تشكل بدورها نوعاً من الازدواجية المحيرة في قلب المحاكاة الأفلاطونية. على هذا الأساس المتأهل في التاريخ البشرية يجد أن الحضارات القديمة قد أكدت وجودها بحرصها على الكتابة، وإن اختلفت مظاهرها بين النقش على الحجر أو الجلد « وإن كانت اللغة مبنية على الاختلاف، فإن النص الأدبي أو الفلسفي يقوم هو الآخر على أساس جملة من الاختلافات » (تاويريت، ب، 2009، 81) إن الوظيفة المهمة للاختلاف هي ما يصطلح عليه دريدا بالكتابة البدائية وهي نمط من الكتابات سابقة عن الكتابة ذاتها، فهي ذات ميزة قبلية متصورة للكتابة قبل تجربة الكتابة، إذاً فهي تنتج شكل من أشكال الحضور، وعادة ما تكون أنظمتها موضوعية (لموضوعها) وكل أشكال المعرفة الأخرى؛ إذن الكتابة ما هي إلا عملية إظهار وتجسيد لتلك الاختلافات كونها هي عملية الوحيدة التي تستعمل اللغة كوسيلة للعب بالمعاني داخل النصوص المكتوبة التي تجسدها، وبما أن الكتابة تكمل الكلام في ذات الوقت فإنها تحل محله.

وعلاوة على ذلك نجد هناك خلط غير يسير يقع فيه كثيرون «إذ لا يميزون بين الأصوات والكتابة أو بمعنى آخر بين اللغة في صورتها المنطوقة المسموعة، وبين اللغة، وقد كتبت بحروف، ويعتقد كثيرون أن الكتابة بصفة عامة صورة صادقة للغة المنطوقة» (حجازي، م، 1995، 17)؛ أعني الأصل في اللغة أنها نظام من الرموز الصوتية وأن الكتابة ليست إلا تعبيراً عن هذا النظام الصوتي، فالكتابة قديماً وحديثاً بديلة للصورة المنطوقة للغة، وما الكتابة إلى محاولة للرمز إلى النطق والتي تتفاوت درجة نجاحها في أنظمة الكتابة المختلفة.

ويتكرر الاختلاف خلال مسيرة الكتابة الدهرية نحو الغيب ومحاكاتها للأصل حينها يرى دريدا: «أن سلسلة الاختلاف والاختلاف عن الاختلاف عن الإمساك في لحظة بسر الأصل الغائب أو الاقتراب منه، فيعد سلسلة من القراءات الكتابات الاختلافية... تأتي قراءة/كتابة فارقة تنصّب قرأنا صادقاً للكتاب الأصلي...» (عطية، ع، 2010، 316)

نلاحظ أنه يكتفي بإحالة الكتابة إلى الكتاب المقدس، وتجربة الكتابة إلى تجربة تلقي الكتاب بطور سنين، ثم يجعل من غياب إلهوه (ألف وياء) سر الغياب الذي يقف في المبدأ وراء الكتابة القديمة (التقليدية)، ويلوح في المنتهى كأفق الغياب الذي تتجه نحوه الحداثة الكتابة.

وعليه يؤكد دريدا في مناقشة اعترافات روسو «بأن الكتابة هي التي أتاحت للآخرين فرصة التعرف عليه كما هو أو على ما يسميه هو ذاته الداخلية أو الحقيقة التي لا تتبدى في الحضور – إلا في العلامات المكتوبة» (تاويريت، ب & راجح، أ، 2009، 84) هذه الأخيرة تكمل ما تركه العلامات المنطوقة من نقص وفرغات بالفعل، هنا تعمل ثنائية الحضور الغياب عملها لانفتاح الدلالة اللانهائية وتحقيق المعنى الناقص. فمما لا شك فيه «أن الكتابة النقدية والتحليلية لا تنفصل مطلقاً عن قضايا الكتابة الأدبية عموماً» (الزاهي، ف، 2003، 12) من ثم فإن هويتها تكمن في كونها خطاباً على خطاب له علاقة مباشرة بعالم التمثيلات الذهنية أو الفكرية. وعوضاً عن ذلك نجد

هناك استقراراً بسيطاً للكتابة النقدية القديمة عند العرب، تؤكد حرصهم الكبير على التمييز في وجهة النظر وطريقة صياغة الأسئلة النقدية والنظرية منها.

من الواضح «أن الكتابة التي سعى للحديث عنها ليست مسألة صياغة لغوية فحسب، بل طريقة في التفكير والتحليل والوجود (النصي منه على الأقل)». (الزاهي، ف، 2003، 13) بحيث تمثل شكلا من أشكال حضور الذات في اللغة والفكر وغيرها. من ثمة فإن حديثه عن الموضوعية في مجال البحث العلمي الأكاديمي من داخل ثنائية "الذات والموضوع" وإثبات تعارضيهما يشكل إقصاءً لكل ما يمثل العصب الأساس في البحث، سواء أكان في المجال العلوم الإنسانية أو العلوم الدقيقة. هكذا أصبحت الكتابة تمارس من طرف الجميع، وبناءً على ذلك ينطلق ريكور بكلامه في توضيح العلاقة بين الكتابة والنص من خلال القوب بأن النص هو خطاب مثبت بواسطة اللغة وكل مكتوب هو في الأصل كلام منطوق.

ومنذ فجر العصور الكلاسيكية صرح كل من ب-دو فيجونير (B.de.Vigenér) وك. دوري (C.Duret): «أن المكتوب سبق المنطوق كما سيطر المبدأ الذكري على القسم الأنثوي من اللسان» (حجاج، ك، 2003، 93)

خلاصة ذلك أنها (العلامة) غير وافية وغير مكتملة، حيث ينبغي أن نفهم على أنها "تحت الشطب" وفق المصطلح الذي صاغه دريدا، حيث يشير إلى عدم كفاية العلامات ونقصها، فهي مكتوبة ومع ذلك مشطوبة. أما من ناحية التفكيكية فإنها ستظهر عندئذ علامة مشطوبة على النحو الآتي "مرئي"، والتي ينبغي ألا نأخذها على نحو "حرفي" بل على نحو إيجابي فقط. كما أن العلامة "أثر" فهي ليست التمثيل "المرئي" أو المكتوب؛ أي ليست الكتابي المحسوس للصورة الصوتية بل إنها الأثر الذي يصفه دريدا، ويمكن القول أيضا بأنها ليست الإشارة أو العلامة الطبيعية أو المؤشر بالمعنى الهرسلي.

وبناءً عليه يستعير دريدا مفهوم الأثر (Trace) من إيمانويل لفيناس (1906-1995). هو يعني ما يمتنع عن التحدي: «مفهوم الحاضر وهو حضور، ممزق، متصدع،

متحرك، مرجأ، حضور لا يكون حضور يشكل الإنمحاء لبنيته» (مهيبيل، ع، 2001، 44).

يحاول دريدا مجاوزة "الميتافيزيقا" من خلال جعل النص يحمل أثراً، وهذا الأثر في حد ذاته يحيل إلى نص آخر لا إلى نوع من الحضور. بينما إنتاج النص يجبرنا على ابتكار وإبداع كتابة جديدة تتجاوز الكلام. أما إذا استعص الأمر فإنه يتطلب إعلان موت الكاتب كما فعل غريماس (G.reimas): «فالخطاب ينتج باستمرار ولا يتوقف بموت الكاتب. لهذا يدعو دريدا إلى تفضيل الكتابة... وعلى صيرورة البقاء بعد غياب منتجها، في حين يتعذر ذلك بالنسبة للكلام.» (مهيبيل، ع، 2001، 45).

تتحقق النتيجة هنا في صورتها العامة مع نقد (فوكو) للميتافيزيقا. كما أن أبرز جزء في نظرية دريدا هو أنه ينقلنا من اللغة إلى الكتابة، أي النص المكتوب، هذا النقل اعتمد على تشويبه لا على تبسيط مكانته بوصفه تفكيكاً. ونحن نستنتج بأن التفكيك هو حقل معرفي بلاغي: «...إنما يحور جسد الكتابة ويفتح اللغة على مالم تقله، أو على مالم تتعود قوله... تستمد الكتابة الإبداعية خطرهما باعتبارها حدثاً متحولاً يستبطن تحولات الكائن وتحولات الوجود» (اليوسفي، م، 2002، 90).

من الواضح أن اللغة بذاتها هي كتابة ضمن ذلك المعنى المقصود، كما ثمة شيء يحمل في داخله أثر التغير الأزلي؛ أعني بنية النفس وبنية العلامة التي يطلق عليها دريدا اسم الكتابة. وهكذا نجد أن الكتابة هي ما يسمى بالبنية التي يسكنها الأثر دائماً، إذن هذا المفهوم أوسع بكثير من المفهوم التجريبي للكتابة الذي يسير إلى نسق دلالي تجريبي على جوهر مادي.

تعمل الكتابة الأصلية في تعبيرات الكتابية وغير الكتابية، بينما الكتابة الأصلية تتميز: «إذا ما كانت فعلاً كذلك فيجب عليها تنتج فضاء وجسم الورقة ذاتها.. أن الكتابة النفسانية عند فرويد هي ذات أصالة بالقدر الذي تكون فيه سابقة على التمييز السيوسوري بين دال والمدلول» (كوفمان، س & لابورت، ر، ح، 1991، 39)، ويجدر بنا ألا نقع في دائرة الخلط بين الدرجة القصوى للكتابة والكتابة ذاتها. وبناء على آراء دريدا حاول من خلالها إبراز أن الكتابة النفسانية عند فرويد هي ذات أصالة.

نحن نعلم أن الكتابة بمعناها الضيق تعد (مفهوم الجرافيم) كما يمكن أن نشير إلى أن الشكل الكتابي هو أثر متمأسس وفق "النظرية التفكيكية"، والذي أصبح موجها نحو المركز، أي نحو ما يسميه الكتابة الدلالية التي تضمن الأثر المتمأسس، واضح أن مثل هذا النوع من التأسيس لمفهوم الأثر قد تمت استعارته بوضوح من "لفيناس".

تعمل الكتابة الأصلية في الواقع على إحداث آثار في الموضوعات، التي يمكن من خلالها تعريف هذه الكتابة الأصلية بأنها إدراكات، أي إدراكنا لحقيقة (المفقود) وأنه المدرك كان غائبا عنها، وقد رافقه الشعور بالمعاناة المتولدة عن تجربته. وعلى الرغم من عدم القدرة على اكتشاف الغائب وتلك الآثار هي التي تؤكد حضوره (الغائب) على الرغم من غيابه.

بالرغم من الخلافات النظرية التفكيكية بين هؤلاء المفكرين إلا أنهم آمنوا بأن الأثر السياسي والاجتماعي للكتابة، يمكن أن يثور المجتمع كما كانت أفكارهم الماركسية، أقصد الكتابة التي تتجرد من الأفكار المقبولة التي استخدمها كامو في رواية "الغريب": «تتمثل في التعبير المطلق عن شغف الكتابة *passion de l'écriture* الذي يمزق الوعي البرجوازي، ويعيد توظيف الكتابة على نحو دال يظهر في النهاية أن الشكل الموضوعي للأدب وأسلوبه يحتويان أخلاق لغتهما». (كيروزيل، إ، 1986، 179)

نرى أن الأمر يقتصر على ما هو واضح من قراءة الكتابة، فدرجة صفر الكتابة تثبت الجانب الذاتي والروحي الذي يسمى بالأدب الموضوعي، بعدها يشرع في إبراز أدب جديد يعبر فيه عن تغيرات. لذلك شارك جون بول سارتر (1905-1980) Jean-poul sartre وكل المجموعة التي تحلقت حول مجلة "الأزمة الحديثة" (Le temps) (modemes) من أجل فضح الأساطير التي تدعم الحياة البرجوازية.

هنا تجنب دريدا كل المناقشات الفلسفية العميقة، لأنه ركز على الكتابة وكانت السخرية منهجه الذي سرعان ما عمرته البنيوية. وكان رولان بارت وغيره من المثقفين الفرنسيين يتجهون تدريجياً إلى السيمولوجيا أو علم العلامات العام عند دوسوسير. (كيروزيل، إ، 1986، 180)

وبناء على ذلك، فمفهوم الكتابة عند ج فيفريه (J. Fevre) يخصص في كتابه (تاريخ الفلسفة) لدحض طروحات غينيكن P.J.Ginneken الذي يرى: "أن ظهور الكتابة سبق ظهور اللغة المنطوقة، وأن النقوش الرسومية الأول هي نقل خطي لحركات اليد التي تشكل المصدر الأول لأي لسان." (حجاج، ك، 2003، 93)

إذن مصطلح الكتابة له معانٍ مختلفة إذ يمكن أن ندرج فيه النقوش الصخرية التي تظهر مشاهدًا للصيد في العصر الحجري القديم، ولكن إذا ما اقتصرنا على "المعنى" الشائع للمصطلح، من الممكن عندها الحديث عن اختراع أو الإبداع والابتكار. تشكل تلك الخطوط المضامين الحقيقية للعملية الفنية ولل فعل الكتابي، مع العلم أن الكتابة تقع دائماً عند منطقة يتجاوز فيها جسم مع آخر. الواحد منها يدعم الآخر، ومن بين ثنائياتها تنشأ الكتابة. علماً أن المستقبل ليس له ثقل أو وزن حين يتمحور حول ذاته، وعليه فالكتابة والإمضاء والآثار تؤثر في تشكيل نسيج المعنى والحقيقة والواقع التي تؤسس نصاً كمؤسسة، أو تشكيلات اجتماعية وبناءات تواصلية، وكذلك الحضور الغامض للآخرين يسم الاختلاف الذي تشغل فيه الكتابة الدريدية، ومن هنا توسم الكتابة من خلال حدودها الخاصة، وتعين ما يقع خارجها، وتجعل من نفسها اختلافاً. مما لا شك فيه أن الكتابة بوصفها اختلافاً يبرز الكتابة الدريدية من حيث الأسلوب كما يفهمه الفيلسوف ميرلو بونتي (1908 – 1961)، حيث يرى بأن الأسلوب ليس لديه فعالية فرويدية، ويتعين عليه أن يدخل نسيج العالم. حيث يصعب أن تشغل الكتابة والإمضاء والآثار لديه (دريدا) فضاءً منعزلاً ومستقلاً ويكون متوحداً والكتابة لديه هي: «شبكة آثار منتثرة والآثار تمخض أسلوباً بوساطة المرقم الذي بكتبها. والكتابة هي إظهار وتحديد شبكتها ونصها الخالصين بها والكتابة لدى دريدا تسم ميدان نصية تبرز نفسها عن الأسلوب لدى ميرلو بونتي». (سلفرمان، ه، 2002، 270)

إن هاجس الكتابة يدفع الذات العارفة إلى البحث عن أتون المعاناة، وعن متون الاستئناس، والتي تجعل الكاتب آخر الأمر يستطيع أن يوجه العلاقة بينه وبين الكتابة إلى علاقة تماشج معنوي وعضوي، مثلما تدفعنا إلى ذلك الفينومينولوجيا، فأن أزمة

الذات العارفة تنفج آخر الأمر من خلال قدرتها بعد الوعي والعصيان والاعتصام على الولوج إلى منطقة الانفراج المعرفي، ونقصد به نقطة التحول الفينومينولوجي الذي يجعل الذات قادرة على اتخاذ قرار معرفي. هذا القرار هو الذي يُخرج النص من أغشيته الثلاث: اللفظ، الفهم، المعنى. (بوعرفة، ع، 2018، 21).

المراجع والمصادر

*- المراجع

- بوعرفة، عبد القادر، (2016)، العرب وأسئلة الماضي والحاضر والمستقبل، ط1، بيروت، دار روافد للنشر والتوزيع.
- تاوريت، بشير & راجح، أسامية، (2009)، فلسفة النقد التفكيكي في الكتابات النقدية المعاصرة، ط1، عمان، الأردن. عالم الكتب الحديث.
- تشاندلر، دانيال، (2008)، أسس السيميائية، تر: طلال وهبة، ط1، بيروت، لبنان. مركز دراسات الوحدة العربية.
- حجاج، كلود، (2003) إنسانُ الكلام (مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية)، تر: رضوان طاطا، ط1، بيروت. دار الطليعة للطباعة والنشر.
- حجازي، محمود فهي، (1995)، علم اللغة (بين التراث والمناهج الحديثة)، القاهرة، مصر. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- دريدا، جاك، (1988)، الكتابة والاختلاف، ت: كاظم جهاد، ط1، دار البيضاء المغرب. دار توبقال للنشر.
- دريدا، جاك، (2005)، الصوت والظاهرة مدخل إلى مسألة العلامة في فينومينولوجيا هوسرل، تر: فتحي إنقرزو، ط1، دار البيضاء، المغرب. المركز الثقافي العربي.
- دريدا، جاك، (2008)، في علم الكتابة، ترجمة: أنور مغيث & منى طلبة، ط2، القاهرة. المركز القومي للترجمة.
- الزاهي، فريد، (2003)، النص والجسد والتأويل، المغرب. دار إفريقيا الشرق.
- الزاوي، الحسين، (2002)، الفلسفة الواصفة، ط1، القاهرة. مركز الكتاب للنشر والتوزيع.
- سلفرمان، هيو. ج، (2002)، نصيات (بين الهرمينوطيقا والتفكيكية) تر: علي حاكمي & حسن ناظم، ط1، الدار البيضاء، المغرب. المركز الثقافي العربي.
- شوقي الزين، محمد، (2011)، جاك دريدا: ما الآن؟ ماذا عن غد؟، ط1، بيروت، لبنان. دار الفارابي.
- عطية، أحمد عبد الحليم. (2010). جاك دريدا والتفكيكية، ط1، بيروت، لبنان. دار الفارابي.
- كوفمان، سارة & لابورت، روجي، (1991)، مدخل إلى فلسفة جاك دريدا (التفكيك الميتافيزيقا واستحضار الأثر)، تر: إدريس كبير & عز الدين الخطّابي، ط1، المغرب. دار إفريقيا الشرق.
- كيروزيل، إديث، (1985)، عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، تر: جابر عصفور، ط2، دار البيضاء، المغرب. دار قرطبة للطباعة والنشر.

- كريستوفر، نوريس. (1989). التفكيكية (النظرية والممارسة). تر: بري محمد حسن، الرياض، المملكة العربية السعودية. دار المريخ للنشر.
- مهييل، عمر، (2001)، من النسق إلى الذات (قراءة في الفكر الغربي المعاصر)، ط1، الجزائر. منشورات الاختلاف.
- اليوسفي، محمد لطيفين (2002)، فتنة المتخيل (الكتابة ونداء الأقاصي)، ط1، عمان. دار الفارس للنشر والتوزيع.
- *- المجالات العلمية
- الكردي، محمد. على (1995). " مفهوم الكتابة عند جاك دريدا" مجلة فصول، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، المجلد 14 العدد 02، ص: 225-240.
- بوعرفة، عبد القادر. (2018). المنهج الفينومينولوجي والعلوم الإنسانية من خلال اللحظة الإيبوخية. مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران 2، المجلد 07، العدد 01، ص: 09-22.